معرض

رواية الفتيان

جائزة كتارا للرواية العربية

الدورة الثانية

2016

الكتابة لكبار الأطفال وصغار الراشدين

تعد روايات الفتيان هي تلك «الرواية المتوجهة إلى الفتيان والفتيات، وتحديدًا، وبلغة التقسيمات السيكولوجية والبيولوجية، الفئة العمرية الممتدة من سن 13 عاماً إلى سن 17 عاماً، والتي تُسمى «المرحلة المثالية»، وقد تمتد إلى ما بين سني 12 عاماً و18 عاماً، لتشمل بذلك أيضًا بعض الفئة العمرية الأكبر التي تُسمى «مرحلة البطولة»، والفئة العمرية الأخيرة التي قد تُسمى «الناشئة» أو «كبار الأطفال»، وإلى حد ما صغار الراشدين.

ورغم تعدد مسميات هذا اللون من الكتابة (رواية الفتيان، ورواية اليافعين، ورواية الناشئة، ورواية المراهقين، ورواية كبار الأطفال، ورواية صغار الراشدين) وغيرها، فإن هذا اللون من الكتابة يمثل شغفا لمرحلة عمرية، تكاد تكون هي الأخطر، نظرا لكونها تمثل فترة التكوين الثقافي.

وعادة ما تتنوع روايات الفتيان بين أنواع واتجاهات هي: رواية البطولة والمغامرات، ورواية الخيال العلمي، والرواية التاريخية، والرواية الاجتماعية، ورواية السيرة.

بداية تاريخية

بين الرواية والقصة والحكاية

تميل الكثير من الآراء إلى أن النشأة أو البداية التاريخية لرواية الفتيان تعود إلى كتابات نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر، ولكنها، وكما يمكن للقارئ أن يستنتج من قولنا «البداية التاريخية»، كتابات توزعت ما بين الرواية والقصة والحكايات على مختلف أنواعها، أو ربما كانت تقوم على تلك الأصول من حكايات جن وحكايات شعبية وحكايات مروية وغيرها.

بعبارة أخرى هي مرحلة التكوّن الأولي لهذا النوع من الكتابة الذي سيكون في مرحلة لاحقة، وهي المرحلة التي يمكن أن نقول إنها امتدت، مع تطورات بطيئة ومهمة، إلى منتصف القرن التاسع عشر.

أما أشهر كُتّاب البداية التاريخية لرواية الفتيان تلك فهم: شارل بيرو، وروبرت سامبر، والأخَوان جريم، وهانس كريستيان أندرسن، وتشارلز لامب.

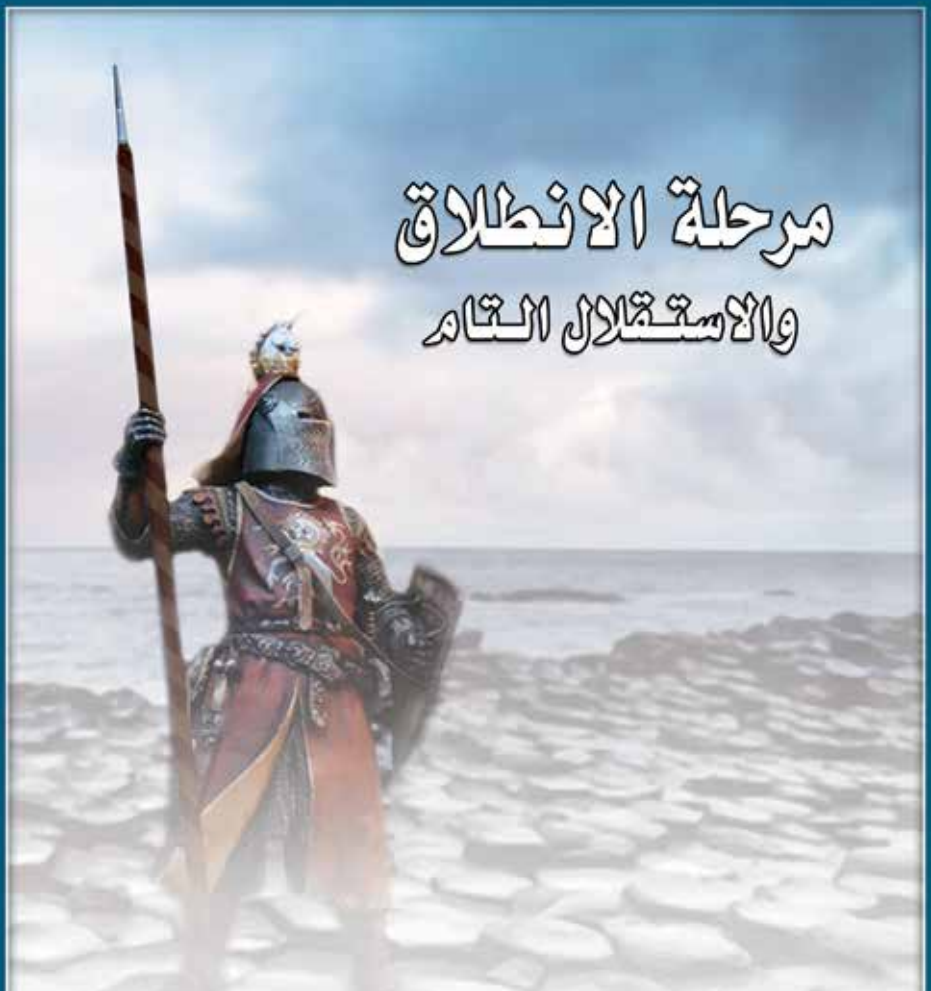

مرحلة الانطلاق والاستقلال التام

نستطيع القول بما يقترب من الحسم والدقة، إن رواية الفتيان قد اكتمل نموها، ولكن بالتأكيد لم ينتهِ ولن ينتهيَ تطورها، مع نهايات النصف الأول من القرن التاسع عشر، وأكثر من ذلك النصف الثاني منه، حين صارت لها هوية اكتسبت بها الكثير من الاستقلالية عما كانت تتداخل معه من قصص شعبي وحكايات خرافية من جهة، ومن قصص أطفال وكبار الأطفال من جهة أخرى.

وقد بدأت الانطلاقة الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، وأخذ أدب الأطفال في الازدهار، ففي الولايات المتحدة مثلًا وصل إلى مكانة كبيرة جدًا وتنوعت أشكاله ووسائله بين كتب ومجلات وصحف وأفلام ومسرحيات ومكتبات عامة ونواد خاصة.

فـــن
له أدباؤه المتخصصون

مـــع
اقتـراب منتصف
القرن العشرين أخذت كتابة
رواية الفتيان ونشرها يشهدان ازدهارًا
غير مسبوق، وسرعان ما صارت المرحلة، وتحديدًا
النصف الثاني من القرن العشرين، عصرًا ذهبيًا بحق لرواية الفتيان في العالم، خاصة مع اهتمام العالم المتقدم برفع مستوى التعليم الأساسي، وجعله مرحلة تهتم بنمو الطفل في جميع النواحي، فزاد الاهتمام بالمعلمين والمناهج وما تحتويه، وبالإعداد الجيد للمادة ومن يقدمها.

وقد ساهم في وصول رواية الفتيان إلى هذه المنزلة، إدراجها ضمن مناهج الدراسة، فأصبحت مادة علمية تولاها المتخصصون بالدراسة العلمية، هذا بالإضافة إلى ظهور كثير من دور النشر المتخصصة في طبع روايات الفتيان ونشرها، واكتشاف التقنيات الحديثة في طباعة الكتب ونشرها، فضلا عن ظهور أدباء متخصصين في هذا النوع من الكتابة فقط، فلا يكتبون سوى للفتيان.

المحاكاة دون مؤهلات

تُنتج أعمالاً ساذجة

برغم أننا نستطيع من دون جهد معرفة ما يتوقع الراشدون قراءته في الكتب الموجهة إليهم، فإن للمكتوب لهم بين السطور ما يجب أن يكون له العديد من الاعتبارات الفنية والثقافية والفكرية، لأن هذه المرحلة، تحتاج إلى نظرة أدق، في المخاطبة، خاصة أنها مرحلة انتقالية، فهذه الأعمال تصنف على أنها الأدب الذي يُكتب ويُنشر ويُسوَّق للشباب، لذلك فإن الأمر يجب أن ينطوي على ما يطلق عليه في عموم الكتابة والإبداع الأسلوب «السهل الممتنع»، بمعنى أن يجد كتاب أو حتى غير كتاب هذا الذي يكتب أو يؤلف للأطفال والفتيان على أنه «سهل»، ولكن حين يحاولون أن يحاكوه ليكتبوا ويؤلفوا يجدون أنفسهم عاجزين عن ذلك فيتراجعون، أو يستمر انخداعهم بذلك فيكتبون، فيقع الكثير منهم في فخ الضعف والسذاجة.

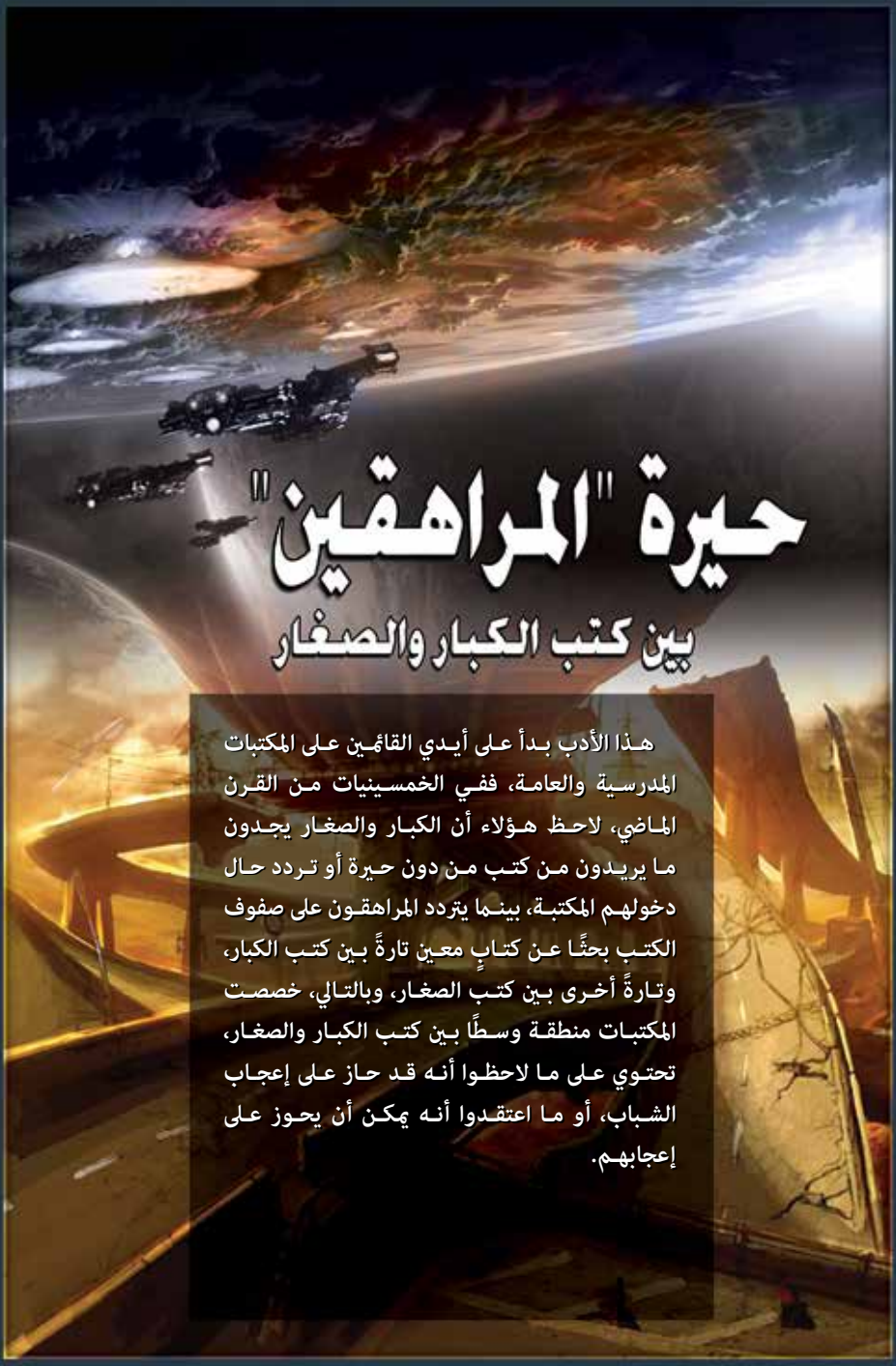

حيرة "المراهقين"

بين كتب الكبار والصغار

هـذا الأدب بـدأ عـلى أيـدي القائمـين عـلى المكتبات المدرسـية والعامـة، ففـي الخمسـينيات مـن القـرن المـاضي، لاحـظ هـؤلاء أن الكبـار والصغـار يجـدون مـا يريـدون مـن كتـب مـن دون حـيرة أو تـردد حـال دخولهـم المكتبـة، بينـما يتردد المراهقـون على صفوف الكتـب بحثًـا عـن كتـابٍ معـين تارةً بـين كتـب الكبار، وتـارةً أخـرى بـين كتـب الصغـار، وبالتـالي، خصصـت المكتبـات منطقـة وسـطًا بـين كتـب الكبـار والصغـار، تحتـوي عـلى مـا لاحظـوا أنـه قـد حـاز عـلى إعجـاب الشـباب، أو مـا اعتقـدوا أنـه يمكـن أن يحـوز عـلى إعجابهـم.

كُتاب متخصصون وأجناس أدبية مختلفة

مع دخول دور النشر إلى ساحة روايات الفتيان، ظهرت الحاجة إلى كُتاب متخصصين في كتابة هذا النوع من الأدب، وظهرت مع هؤلاء الكُتاب أجناس مختلفة من الأدب لقيت نجاحًا بين القراء، ومنها روايات الفانتازيا والمغامرة كروايات «هاري بوتر»، ومنها أجناس لقيت رواجًا بين القراء الشباب لم تجده في أوساط الكبار، ومنها روايات «السايبر بنك»، وهي جزء من روايات الخيال العلمي التي يمثلها بطل في عالم مستقبلي قريب، يعيش بين الأجهزة التكنولوجية في مدينة ضعف فيها التواصل الإنساني أو انعدم.

ومن بين هذه الأجناس «الرواية المصوَّرة» التي تعتمد على الرسم أكثر مما تعتمد على الكلام المكتوب، وهذا النوع من الروايات بالذات يتقدَّم في سوق النشر بخطوات متسارعة وواثقة.

أدب الفتيان

ودوره في تشكيل وعي المراهقين

في الغرب يأخذ أدب الفتيان أو الشباب أو أدب الراشدين الصغار، أهميته من منطلق قدرته على تشكيل وعي المراهق وتنمية معارفه وقدراته، ومن ثم تكوين شخصيته المنفردة القيادية المميزة، ففي تلك المرحلة العمرية تكون الشخصية طينة قابلة للتشكل بأي شكل، والتربية السليمة مع القراءة النموذجية الموجهة كفيلة بأن تغير المستقبل تمامًا، حيث تَجذَّر الاهتمام بهذا الأدب الموجه إلى البالغين الصغار في الغرب خلال سنوات القرن الماضي، فأنشئت جوائز خاصة به، ونظمت ندوات سنوية حوله، وتشكَّلت أندية المحبين، كما وُضعت قوائم سنوية لأفضل الكتب في هذا المجال.

لو تساءلنا عن غياب مثل هذا الاهتمام في العالم العربي لكان الجواب الحاضر دائمًا، الأسهل دومًا، هو: إنها مشكلة العزوف عن القراءة، لكن الحقيقة غير ذلك.

فن الوصول بالفتيان إلى قيم إبداعية

أدب الفتيان، شأنه شأن الأعمال الأدبية الأخرى، عمل إبداعي بطبيعته، وأينما يكون الإبداع تكون الصعوبات في الوصول إلى الشكل الفني المطلوب، لأن الشكل الفني المكتمل أو المقارب للاكتمال يحتاج إلى خبرة ودراية وموهبة، وإلى إلمام عميق بالمواصفات الإبداعية المختلفة، كما أن أدب الفتيان في الوقت نفسه اختزال للثقافات والمفاهيم والقيم والطموحات المستقبلية، لذلك فإنه عبارة عن تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والوجدان من خلال أبنية لغوية، وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانية العامة، ويُعنى بالتعبير والتصوير فنيًّا ووجدانيًّا عن العادات والآراء والقيم والآمال والمشاعر وغيرها من عناصر الثقافة، أي أنه تجسيد فني تخيلي للثقافة.

الموهبة وحدها لا تشبع النهم الأدبي

أدب الفتيان أو صغار الراشدين قد لا يكون كيانًا مستقلًا عن هذا الذي يشمله مفهوم أدب الأطفال، بل إننا لا نكاد نجد له أي وجود حقيقي واضح، وهذا لا يعني أنه لا وجود له فعلًا، بل هو عادة ما يكون ضمن هذا الأدب وامتدادًا له.

وعندما نكون أمام أدب الفتيان، فإننا نكون أمام أحد أكثر عناصر الكتابة اختلافًا في المستوى، والتعبير، ونوع اللغة، والمفردات، عنه في الكتابة للكبار.

وإذا كان أكثر ما يرتبط به أو يقوم عليه الأسلوب هو اللغة، فإن هذا يعني أنها تكتسب أهمية غير عادية مقارنةً بما تكتسبه في كتابات الكبار، لأن القارئ الصغير أذكى وأكثر حساسية في التلقي وأصعب مراسًا في الاقناع بما يكتب له من القارئ الكبير.

ومن هنا كان من الطبيعي أن يصطف إلى جانب «الموهبة» - بوصفها مطلبًا أساسيًّا - مطلب مهم آخر، هو ما نسميه «الحرفية» - التي تأتي بعد توافر الموهبة - من الدُّربة والمران مقرونتين بالثقافة.

أهمية التشويق

في روايات الفتيان

في روايات الفتيان يجب أن نعلم أن الخيال ضرورة للكبار قبل أن يكون ضرورةً خاصةً بالفتيان، ولكنه بالنسبة إلى الفتيان أكثر أهمية وأكبر دورًا في ذواتهم وحياتهم وما يشاهدونه أو يستمعون إليه أو يقرؤه. بل إن الخيال بالنسبة إلى الفتيان ضرورة نفسية وفكرية، لأنه بمنزلة المنظار الذي يرون من خلاله المحيط به والذي يفسر الظواهر ويقربها إلى وعيهم، إنه الوسيط المقنع الذي يرمم الفجوة بين مدركات الطفل وخبرته المحدودة وبين ظواهر العالم المعقدة التي يبدأ بملاحظتها منذ أن يتفتح وعيه على العالم حوله.

كما أن التشويق عاملٌ مهمٌّ في أدب الفتيان، فإن هذه السمة أو الخاصية تحتل أهمية في قصة ورواية الصغار أكثر منها في أي نوع كتابي آخر.

التبسيط المطلق

ليس معيارًا دقيقًا في الكتابة

من المهم جدًّا أن نراعي عند الكتابة للفتيان، الأسلوب واللغة، لأن بعض الكتاب لمجرد أنهم يكتبون للصغار، لا يضعون أمامهم فكرةً سوى التبسيط، لكن بدلًا من القول بالتبسيط، الذي هو ليس خطأ بالمطلق، إذا فهمناه كما يجب ولم نبالغ فيه، لنقل إنه لغة وأسلوب خاصان، لا بد من توافر عناصر وشروط فيهما، منها أن يُراعى طول الجملة، في الكتابة الموجهة إلى الصغير الباحث عن الغاية والمعنى والإثارة أكثر من بحثه عن الفصاحة والجمال والبديع، حتى مع التسليم بحبه للجمال والإثارة التي تحققها الكلمة والجملة.

دور الكتابة في بناء الفتيان

الحوار من أهم الأمور التي يجب مراعاتها عند الكتابة للفتيان، وذلك من خلال ملاحظة عدة جوانب، وهي:

أولًا لغته، وثانيًا ما يعبر عنه صراحة أي الغرض الذي يقال من أجله، وثالثًا ما يمكن أن يقوم به من دور في الحديث بشكل خاص والعمل الروائي بشكل عام، ورابعًا ما يعكسه ضمنًا من ذات المتكلم به، نعني الشخصية الروائية.

لذلك عندما نكتب للفتيان، يجب أن نضع في اعتبارنا أننا نطمح إلى بناء إنسان جديد عن طريق تنمية شخصيات الفتيان، كما أننا نريد صقل سلوك أطفالنا وفق قيم وقوانين التربية الأخلاقية.

ومن خلال ما يُكتب للفتيان يمكن إعدادهم ليعيشوا إيجابيين في المجتمع ويتمكنوا من الاختلاط بالآخرين من دون التضحية بصفاتهم.

الخيال الجامح (الفانتازيا)

بالوسع إنماء خيال الصغار عن طريق أساليب مختلفة في مقدمتها الأدب الموجه إليهم، حيث لم يختلف مفهوم الخيال في دلالته تبعا لتعدد الأطر المرجعية التي تناولته فقط، بل فهمه كثيرون بغير دلالته ونظر إليه البعض على أنه ظاهرة سلوكية سالبة.

ومن بين ما ينجم عن التخيل الأدبي ما ينتج عن الأدب «الفانتازي» وهو خيال جامح يُختصر أحيانًا إلى ما يمكن أن يكون توهمًا، غير أن للأدب في مجمله قدرًا من الخيال، لذا يُطلق عليه «الأدب القصصي».

ومنذ أن عرف أدب الأطفال، تميز أدب الواقع عن أدب الخيال، غير أن أدب الواقع لم يكن بعيدًا عن الخيال.

الحبكة

أساس البناء القصصي

ينطوي الأدب على تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والعاطفة من خلال أبنية لغوية، وهو فرع من فروع المعرفة الإنسانية العامة، ويُعنى بالتعبير والتصور فنيًّا ووجدانيًّا عن العادات والآراء والقيم والآمال والمشاعر وغيرها، أي أنه تجسيد فني تخيلي للحياة، وهو يلتزم -عادة- بعدد من المقومات التي اصطُلح عليها في كل عصر وفي كل بيئة ثقافية.

ويشمل هذا المفهوم الأدب عمومًا، بما في ذلك أدب الفتيان، فتتمثل مقومات القصة في بناء قصصي ينطوي على فكرة وشخصيات وجو وحبكة، وعلى هذا فإن التخيل عملية عقلية لها أهميتها للراشدين، ذلك أن من خلالها يمكن رسم هيئات من الأفكار بما فيها أفكار التطلع إلى المستقبل، والتي تعد اليوم أساس كل تفكير فني وعلمي.

التسلية

أهم عناصر رواية الفتيان

بعيدًا عن تحديد المرحلة العمرية التي يوجه لها أدب الفتيان، يجدر أن ننوه إلى أن القضية هنا هي قضية مَقدرة على الاستيعاب والفهم، لا قضية عمر زمني بحدٍّ ذاته، لأن المقدرة البشرية لا تخضع للحدود الرقمية، بل يجري التعامل معها ضمن حدود المرونة والنسبية.

فقط أهم ما يجب مراعاته التناسب مع مستوى الفتيان من حيث مداركهم وأذواقهم وميولهم، لأن ذلك من شأنه أن يسهم في تقديم أعمال أدبية، ليس الغرض منها التسلية فقط، كما يتصور البعض، ولكن الأفكار والتوجيهات التي تقدم والتي يعول عليها بصورة كبيرة في صياغة عقلية الفتيان، وإن كان عامل التسلية أيضًا من العوامل الأساسية التي لا ينبغي أن تهمل، لأن الفتى لن يُقبِل على قراءة نصٍّ ما لم تتوافر فيه جوانب التسلية.

الفئات العمرية
لا تعترف بالحدود الفاصلة

في كثير من الأحيان يشارك أدب الناشئة أدبي الأطفال والكبار بعض الخصائص والمميزات، لدرجة انعدام الحدود الفاصلة والحاسمة بين هذه الآداب في كثير من الأحيان، إذ تشير بعض الدراسات إلى صعوبة رسم الحدود بين أدب الأطفال وأدب البالغين.

وفي هذا الشأن يقول الكاتب السوفيتي سيرجي ميخالكوف: لو أخذنا كُتيبًا للصغار وآخر للراشدين، سنرى حتما حدودًا كبيرة، ولكن هذه الحدود ليست متضادة أو ليس تضادها كبيرًا. وإني على ثقة أن أدب الأطفال الحالي يدخل في الأدب العام أو أدب الراشد تدريجيا، كما يدخل النهار في المساء، وعلى الرغم من ذلك نرى أدب الأطفال يملك سماته الخاصة التي تزداد كلما قَلَّت سن القارئ.

الأدب العربي

تأخر في إدراك قطار الفتيان

بقي قطاع الناشئة في الوطن العربي مهملًا مدة من الزمن وانصب الاهتمام على أدب الأطفال وبقي الفتيان محسوبين على الكبار، وليسوا بالكبار، وبقيت مرحلة المراهقة مغفلة من قبل الكتاب، على الرغم من خطورتها وأهميتها، وكان على الفتى أن يطالع في أدب الأطفال وقد شب عن الطوق، أو يغوص في أدب الكبار ولم يقوَ على الغوص، وأنَّى له أن يحظى ببغيته في خضم هذين الأدبين دون أن تمتد يد إلى توجيهه ومساعدته.

فالناشئ يحب المطالعة لأن المرحلة التي يمر بها هي مرحلة إتمام التكون المؤدية إلى النضج والاستقرار، فمن طبعها قضاء وقت الفراغ فيما يجلب الاستمتاع والتسلية، ومن طبعها لعب الخيال الذي لا يريد أن يقف عند حدود وتمادي الأحلام، وفرط الحساسية والانفعال والبحث عن الحقيقة وحب الاطلاع والمغامرة وحب الاكتشاف والتطلع إلى المعالي والمثل الأخلاقية والنزوع إلى التفكير والمناقشة ونمو القدرات اللغوية وبروز المواهب الأدبية، ولا شيء يلبي هذه الحاجات ويسير بها في الطريق السوي كالمطالعة المرشدة.

خطورة نزوع الفتيان إلى المطالعة دون ضوابط

تكمن أهمية استقلال الفتيان بنوع خاص من الأدب الموجه إليهم، في أنه إذا كان حرمان الفتى المطالعة كارثة تربوية، غير أن الكارثة الأكبر أن يقرأ على غير هدًى أو يقرأ ما يضره، وما أكثر ما يتعثر الفتى إذا تُرك وشأنه في إرضاء نزوعه إلى المطالعة، فقد يقع على كِتابٍ أعلى من مداركه فيضيِّع وقته فيه دون طائل، بل ربما أورثه السأم والملل من المطالعة، والأمر الأخطر أن تجذبه الكتب الضارة كبعض الروايات البوليسية ومسلسلات الخيال المريض البعيد عن الواقع وكتب الألغاز والجنس والمجلات المصورة التافهة ذات التوجيه السيئ المضلل.

وهذا لا يعني أنه ليس في أدب الكبار ما يصلح لقراءة الناشئة، ولكن أنَّى للناشئ أن يكتشف هذا الجانب بنفسه إذا لم يرشده معلمٌ بصيرٌ أو مربٍّ واعٍ؟

الكتابة للفتيان

رسالة تربوية وغاية سامية

كل أدب يحمل القيم السائدة في مجتمعه، ولابد -في نظر التربية- من احتواء أدب الفتيان على مضمون هادف ومفيد، وإلا كان عبثًا وتسلية فارغة، أو مداعبة سطحية للحواس أو مغامرة ضارة.

والأديب الذي يتوجه إلى النشء يقوم مقام المربي الغيور الذي ينظر من وراء عمله إلى غاية إنسانية سامية، وهي بناء شخصية الناشئ وإعداده ليكون في المستقبل عضوًا فعّالًا ونافعًا في المجتمع وناجحًا في الحياة مزوّدًا بالخلق والعلم والثقافة.. ثقافة الإنسان الطالع إلى الحياة النهم إلى المعرفة، معرفة كل ما يحيط به وما يخطر بباله من التساؤلات، وما يعرض له من المشكلات التي تتعلق بوجوده وعلاقاته التي تسهم في تكوين شخصية المراهق ضمن الغاية التربوية الرشيدة.

المزج الجمالي والاجتماعي يحقق الإبداع

تنهض الكتابة القصصية للفتيان على أساسين متضافرين، الأول: اجتماعي، والثاني: جمالي.

وهما خصيصتان ينفرد بهما القص من بين معظم أجناس الأدب. ولئن كان من المستحيل تمييز الاجتماعي من الجمالي، فكذلك من المستحيل أن ينفرد أيٌّ من الاجتماعي أو الجمالي بالقص. وإذا كان وجود القص قد اعتمد على المزج الماهوي بين الاجتماعي والجمالي، فإن تطوره لم ينل - في أيٍّ من مراحله - من هذا المزج، تتعدد التقنيات وتتنوع الأشكال، والقص لا يكاد يتحول عن ثنائية المزج تلك، ويعود ذلك إلى أن القص - من دون معظم الأجناس الأدبية - يمتلك تاريخًا اجتماعيًّا طويلًا موغلًا في القدم سابقًا على أدبيته، كما يمتلك -من جهة أخرى- سياقًا محايثًا لوجوده. وبالتالي، فهو جنس أدبي مفتوح على كلٍّ من التاريخ والمجتمع على نحوٍ يؤمِّن نصوصه من تجاوز حدوده الإجناسية، مهما تناصَّ مع أجناسٍ أخرى، أو مع بعض خصائصها.

ثراء الحضور
يأخذ الفتيان إلى الشغف بالنص

عند الكتابة للفتيان يجب أن يتمتع الكاتب بثراء الحضور، فيمثل تلقيهم الشغوف للرواية الشفهية والمكتوبة على السواء صورةً بارزةً لتَجَذُّر القص في تاريخ الوعي الجمعي الإنساني.

وتنهض جمالية القص على اللغة بوصفها مادة تشكيله، كما تنهض جمالية اللغة على القص بوصفه جنسًا أدبيًّا، حيث لا تستمد اللغة جمالياتها من تكوينها الذاتي فحسب، أي بوصفها أصواتًا وتراكيب ومجازات ذات طاقة تأثيرية مباشرة؛ ولكن أيضًا من علاقتها بالجنس الأدبي الذي تذعن له في صوغ أبنيتها، حيث تصبح اللغة - بموجب هذه العلاقة - متجسدة في أفق جمالي جديد، ومن ثم، فإن طاقة اللغة في التأثير تكمن في الجنس الأدبي نفسه، بوصفه فضاءً فنيًّا للتوصيل الجمالي. فجمالية اللغة، وإن كانت خصيصة كامنة في اللغة ذاتها - بوصفها طاقة من الإمكانات المحتملة التي يضطلع المبدع باستبطانها - لا تتحقق إلا عبر وسيط جمالي استقرت أعرافه وتقاليده، هذا الوسيط هو «الجنس الأدبي» الذي تستجيب له اللغة بتشكلاتها ووظائفها الجمالية.

الرقابة الذاتية

رفيقٌ دائمٌ لكاتب القصة

الكتابة للصغار عمومًا وللراشدين والفتيان على وجه الخصوص، تحمل صعوبةً بالغةً؛ إذ تتطلب دُربةً ودرايةً، مثلما تتطلب وعيًا ورقابةً ذاتيةً.

وإذا كانت الدُّربة تُكتسب بالمران، فإن الدراية سابقة على الممارسة، أي إن للكيفية التي بها يُكتب للصغار مواصفاتٍ يقتضيها أدبه.

وإذا كان الوعي مما يُشترط في الكاتب قبل الإقدام على الكتابة، فإن الرقابة الذاتية ترافق كاتب قصة الصغير على الدوام وهو يقبل على الكتابة القصصية، فمسؤوليته إزاء النشء الذي يتحكم في اختيار النهج الذي يبتغي تكوينه عليه، أكبر مما لو كان متوجهًا بخطابه إلى شريحة من القراء الرُّشَّد، ممن يتمتعون بمستوى من التنبه والتحوط والحذر والرفض والمواجهة الضدية والتفاعل المتكافئ.

تقييد حرية اختيار قصة تصبح الفتيان

إذا كان الكاتب عمومًا حرًّا في اختيار موضوع قصصه، فإنه عندما يكتب للصغار والفتيان فإن حريته في اختيار القصة عادةً ما تتقيد طبقًا لما يقدره من احتياجات أبناء هذه المرحلة العمرية.

فالكاتب يجب أن يعد نفسه مقياسًا لميول وآمال المستهدَفين من كتابته، الذين هم في مرحلة المراهقة بما تشمله من ميول وآمال والتزامات.

ولا شك أنه بذلك يواجه مأزقًا خطيرًا، فهو، إن لبَّى هذه الحاجات، وتخلى عن حصَّةٍ من حريته، مجبرٌ على أن يفيَ بالحقوق الجمالية للأدب، ليفي من ثم بحق المتلقي عليه إمتاعًا وتساميًا، وإلا صار الأدب الذي يسهم في إنتاجه باهتًا فاترًا.

ولعل الناجح من الكُتَّاب لهذه المرحلة، هم من يستطيعون تحقيق المعادلة المتمثلة في اكتناز رواياتهم بجماليات النص القصصي من جانب، واكتناز روحه باحترام المتلقي من جانب موازٍ. ومتى اختل أحد العنصرين، فقدت القصة ألقها الجمالي، وباء القارئ بخيبة أمل لا جُناح عليه في عدم الوعي بها.

التعاطي الميداني في أدب الفتيان

لا تكفي المعرفة النظرية بأصول التربية، وبعلم نفس الطفل، وبمراحل وعيه الجمالي، وبإشكالات نوعية لفئات من الصغار، ناهيك عن معرفة فضاء أدب الطفل نفسه، إلى غير ذلك، إذا لم تترافق مع هذه المعارف خبرات التعاطي «الميداني» المباشر مع الصغير، وفقًا لما أضاءته العلوم الإنسانية التي صار الراشد واحدًا من أبرز موضوعاتها، والتي تكشف عن الأهمية الحاسمة للسنوات الأولى من الحياة، وعن القدرة الكامنة التي يتمتع بها اللاشعور، والرغائب، والتوترات النفسية، والانفعالات، والخيال الخلاق.

لذلك دائمًا ما نجد مثل هذه الخبرات الميدانية الملهمة لدى المبدعين الذين قدموا إسهامًا جماليًّا متميزًا في مضمار هذا اللون من الأدب.

الكتابة للفتيان بعيدًا عن سلطة النقاد

البعض يحملون أوهامًا عن عالم الفتيان، كأنهم يهربون من ذواتهم، لذلك فإنهم دائمًا يقعون في تصورات مشوشةٍ، قلقةٍ، خائفةٍ، حيال هؤلاء الراشدين، بوصفهم، لم تكتمل مداركهم بعد، فيمارسون مختلف أنواع السلطة التي ينجم عنها ضمور فرصه في الاختيار والاكتشاف والقفز، في امتطاء الخيال وتأمل الغامض، والبعيد، والخبيء، خاصةً أولئك الذين يعملون في ميدان الأعمال النقدية التي تتناول نصوص أدب الفتيان بالدرس والفحص، لا يستطيعون أن يتمالكوا أنفسهم أمام الحاجة الملحة إلى أن يربوا ويُقنعوا ويفسروا، فتراهم يستنسخون التوجيهات الإرشادية والوصايا النازعة إلى «التبسيط» و«السهولة» و«الوضوح» و«الانتقاء» و«المنطقية» و«الملاءمة» و»تحديد الفئة العمرية» و«الترشيد اللغوي والخيالي»، و«الحذر من التحديث والتجريب»، وغير ذلك مما يمثل - في تصورهم - الاحتياجات التي ينبغي على الكاتب أن يقدمها إلى هذه المرحلة.

الانـــطلاق

من رحم التراث الشعبي العربي

يمكن اعتبار العقد الثاني من القرن العشرين بداية أدب الطفل في الوطن العربي؛ إذ ظهر مصطلح «أدب الطفل» عام 1930 في الدوريات العربية في عناوين المقالات، وهذا لا ينفي وجود أدب الطفل قبل ذلك، ولكنه كان فقيرًا جدًا ويقتصر فقط على الأغراض التعليمية البحتة.

وميلاد هذا الجنس الأدبي مر بعدة مراحل، وهي الترجمة والاقتباس، ثم الدعوة النظرية، فالتجريب الفني، ثم التأصيل، إلى أن بدا الأمر أكثر وضوحًا حين ظهر التراث الشعبي والإنساني وتبلور بأساليب مبسطة، هنا يجب ألا ننسى سلسلة روايات جرجي زيدان التاريخية التي زادت على عشرين رواية بدءًا برواية «17 رمضان» عام 1889، وانتهاءً برواية «شجرة الدر» عام 1914، وهي روايات، إذا لم تكن قد كُتبت بوصفها روايات فتيان، فإنها لغةً وأسلوبًا وتوظيفًا للتأريخ وتقديمًا له، أقرب إلى فئة الفتيان وصغار الراشدين من غيرها.

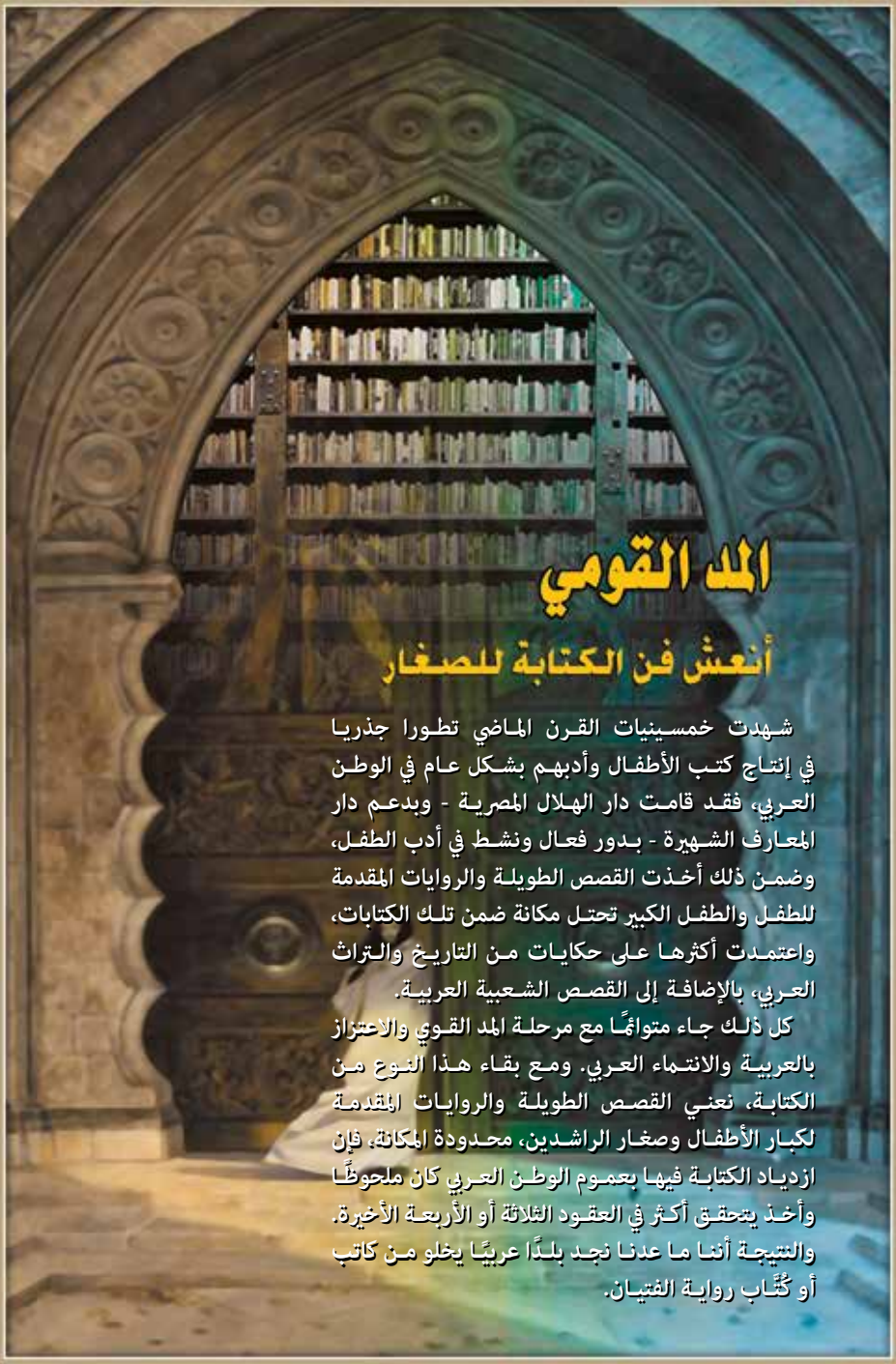

المد القومي

أنعش فن الكتابة للصغار

شهدت خمسينيات القرن الماضي تطورا جذريا في إنتاج كتب الأطفال وأدبهم بشكل عام في الوطن العربي، فقد قامت دار الهلال المصرية - وبدعم دار المعارف الشهيرة - بدور فعال ونشط في أدب الطفل، وضمن ذلك أخذت القصص الطويلة والروايات المقدمة للطفل والطفل الكبير تحتل مكانة ضمن تلك الكتابات، واعتمدت أكثرها على حكايات من التاريخ والتراث العربي، بالإضافة إلى القصص الشعبية العربية.

كل ذلك جاء متوائمًا مع مرحلة المد القوي والاعتزاز بالعربية والانتماء العربي. ومع بقاء هذا النوع من الكتابة، نعني القصص الطويلة والروايات المقدمة لكبار الأطفال وصغار الراشدين، محدودة المكانة، فإن ازدياد الكتابة فيها بعموم الوطن العربي كان ملحوظًا وأخذ يتحقق أكثر في العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة. والنتيجة أننا ما عدنا نجد بلدًا عربيًا يخلو من كاتب أو كُتَّاب رواية الفتيان.

الرواد العرب
في الكتابة للأطفال

برز بعض الرواد العرب الذين استطاعوا أن يحققوا مكانة بين كتاب الأطفال العالميين، فمن أبرز من يمكن أن نضيفهم، من هؤلاء، إلى الكتّاب الرواد لهذا الفن أو النوع الكتابي، على الأقل في بلدانهم، العراقي محمد شمسي (1943-1996) وهو كاتب مرموق، إضافة إلى كتابته الرواية والشعر وأدب الرحلات، ورائد رواية الفتيان في العراق، وربما أحد أبرز كتابها في الوطن العربي.

من أهم أعماله الروائية للفتيان: «لصوص البحر» عام 1980، و«كمين في الأدغال» عام 1983، و«البطل الصغير» عام 1988، و«وادي النمور» عام 1990.

ومن بين البارزين في هذا المجال الكاتب السوري طالب عمران (1948)، وهو حامل شهادة الدكتوراه في الهندسة التفاضلية والفلك، حيث يُعد أهم من كتب قصص الخيال العلمي عربيًا، لكن الكثير من أعماله العلمية أقرب للفتيان منها للكبار. من رواياته: «كوكب الأحلام» عام 1978، و«ضوء في الدائرة المعتمة» عام 1980، و«رجل من القارة المفقودة»عام1997.

ثلاثة عقود
من الازدهار المتواصل

شهدت رواية الفتيان في العالم العربي ازدهارًا على مستوى أكثر البلدان العربية -إن لم نقل جميعها - خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين.

وإذا كان من الصعب تتبُّع مسيرة هذه الرواية في أي بلد من البلدان العربية، فإن الأمر ليس كذلك حين يتعلق بالبحث عن كُتَّاب هذا الفن الذي أصبح واسع الانتشار فيها.

وإذا ما أردنا وضع الأصبع على الأسماء الأهم وفقًا لسعة انتشار تلك الأسماء، مع عدم خلو الأمر من الاجتهاد الشخصي، فنجد أن أهمها، إضافة إلى الرواد الذين ذكرناهم: العراقيان عبد الستار ناصر وميسلون هادي، واللبنانيان سماح إدريس وفاطمة شرف الدين، والفلسطينية أحلام بشارات، والمصري أحمد خالد توفيق، والسعودي طاهر أحمد الزهراني، والتونسي الحبيب دربال، والإماراتية نورة النومان، والقطرية شمة الكواري، وغيرهم عشرات.

خلط غير مقصود

بين الكتابة للصغار والكتابة للفتيان

لرواية الفتيان علاقة قوية بالفن الروائي كما نعرفه، ومع أن أدب الأطفال العربي لم يتأخر كثيرًا عن أدب الأطفال في العالم، فإنه من الواضح أن لتأخر ظهور الرواية العربية، وتطورها بشكل خاص، علاقةً بتأخر ظهور رواية الفتيان العربية تحديدًا عن رواية الفتيان في العالم، فليس هناك مؤلفات نقدية ودراسات عربية عن رواية الفتيان تحديدًا إلا كتاب «رواية الفتيان.. خصوصية الفن والموضوعات» للدكتور نجم عبدالله كاظم. أما ما عدا ذلك، فليس سوى مقالات، أو مباحث وأجزاء من مباحث ضمن كتب تتناول قصص الأطفال، أو أدب الأطفال بشكل عام، كما أن هناك ما يقترب من التخلف في أصول نشر روايات الفتيان العربية، لاسيما في معلومات النشر والتعريف بها واختلاطها بقصص الأطفال وبالمترجم من الأعمال وبالإعداد، مع ملاحظة تحقق خروقات جيدة في هذا المجال في العقدين الأخيرين.

ونظرًا لأن روايات الفتيان تقترب كثيرًا من رواية الكبار، فإن الكثير من روايات الكبار تقترب، في المقابل، من الصغار وصغار الراشدين لتشيع بينهم، وبما يعني أن الكثير من الروايات تكون مقبولة بوصفها روايات كبارٍ وفي الوقت نفسه بوصفها روايات فتيان.

الرجال يتقدمون المشهد

تتقدم مصر في ريادية الكتابة الروائية للفتيان، لتليها بلدان عربية أخرى مثل فلسطين وسوريا والعراق، قبل أن تظهر في البلدان الأخرى.

ومع أننا لا نكاد نجد اليوم بلدًا عربيًا يخلو من كُتَّاب رواية الفتيان، فإن مما يُلفت النظر في هذا الشأن ظاهرتان: الأولى هي تقدم فلسطين في هذه الكتابة، على الأقل عدديًا، والثانية انطلاق ما يشبه الحركة النشطة في كتابة هذه الرواية والاهتمام بها في بعض بلدان الخليج العربي.

اللافت للنظر في قوائم كُتاب رواية الفتيان العرب في العقدين أو العقود الثلاثة الأخيرة الوجود اللافت والفعال للكاتبات الإناث.

وإذا ما اقتربت هذه الظاهرة من أن تكون طبيعية ومتوقَّعة كون المرأة أقرب إلى الطفل والمراهق من الرجل، فإن ما يجعلها لافتة هو قائمة كُتاب هذه الرواية قبل هذه المرحلة، نعني قبل عقدين أو ثلاثة، بحيث يصعب على الباحث وضع اليد على اسمٍ لكاتبة بين أسماء كُتَّابها، بل نحن لم نجد غير كاتبات معدودات.

تحديد المرحلة العمرية المستهدفة

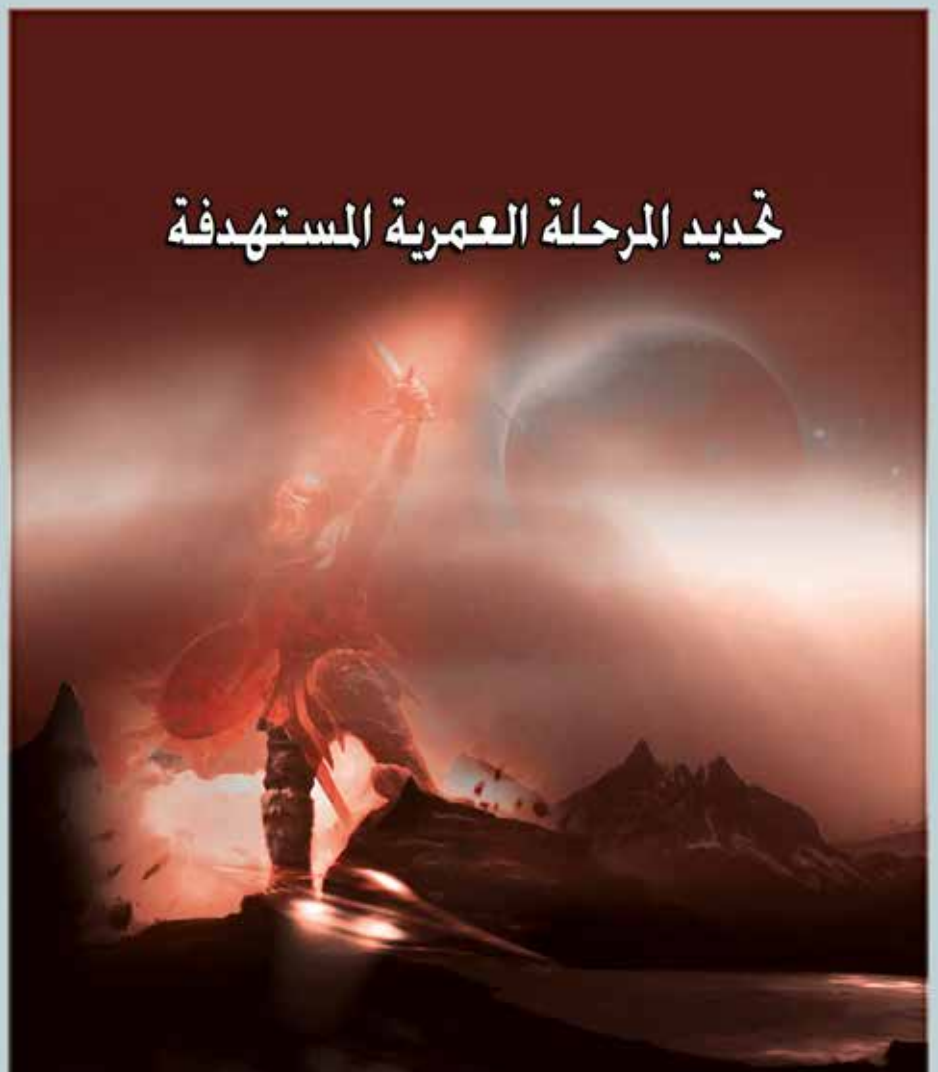

أغلب التوجهات في العالم العربي تقسِّم الكتابات الموجهة إلى الطفل إلى مرحلتين: مرحلة ما قبل سن التمدرس، تنحصر منتجاتها في كتب مصورة من دون كلمات، تناسب الطفل إلى حدود سنته الخامسة تقريبًا أو السادسة.

ومرحلة التمدرس الممتدة حتى سن السابعة عشرة، والتي يغلب على منتجاتها المجلات المصورة «كوميكس»، وقصص الألغاز البوليسية البسيطة.

أما مرحلة الشباب في نظرهم فهي تبدأ في سن الواحدة والعشرين، لتبقى الفترة العمرية الممتدة ما بين 17 و 21 خارج كل الاهتمامات.

سنوات مهدرة .. لم تستثمر بعد

لا يزال الاهتمام، بهذا اللون من الأدب، لم يحظ بالمكانة اللائقة في الوطن العربي.

فللأسف في كثير من الأحيان ينظر المجتمع إلى الفتى على أنه لا يزال طفلًا، فيتم إلهاؤه ببضع مجلات مصوّرة إلى حدود السابعة عشرة من عمره، ثم يتم تجاهله خلال سنواته الثلاث التالية، ليتم اعتباره عند بلوغه الـ21 سنة رجلًا يجب عليه القيام بكل مسؤولياته، وبالتالي تضيع على الفتيان في الوطن العربي سنوات هي في الحقيقة من أهم سنوات الحصاد المعرفي، الذي كان يفترض أن توجه له رسالته الأدبية اللائقة به.

بين مشكلات الكُتاب ودور النشر

بمجرد إلقاء نظرة على الكتب التي تتم ترجمتها إلى العربية، سوف نلاحظ أنها تنفد بسرعة، فور صدورها، فمثلا عند البحث عن سلاسل هاري بوتر ذائعة الصيت، سوف نرى كيف أنها تنفد سريعًا بمجرد ترجمتها، بل إن قرَّاء كثيرين لا يصبرون حتى تترجم إصداراتها الجديدة فيقرأونها بالإنجليزية.

ويكفي البحث في المنتديات الشبابية على الإنترنت لنتأكد حقًّا من أن الشباب حين يجدون عملًا يستحق القراءة، فإنهم يقرأونه فعلًا، وهو ما يؤشر إلى أن المشكلة، ليست مشكلة قارئ عازف عن القراءة، بقدر ما هي مشكلة كاتب عازف عن تجويد كتاباته، وناشر لا يريد المغامرة.

أدب الفتيان وأدب المغامرة.. منتهى التقارب

الأدب الموجه إلى الفتيان، هو الذي يخاطبهم بلغتهم ويتحدث عن مشكلاتهم، وهو يختلف عن أدب المغامرات، لكونه نوعًا من الأدب المتخصص.

وهذا الأدب في حد ذاته ليس جديدًا في الثقافة العربية، فهو موجود على سبيل المثال في قصص مثل «أبو زيد الهلالي»، و«الزناتي خليفة»، وغيرهما.

هذه القصص والملاحم الشعبية هي في الأساس مغامرات قام بها أصحابها، ولكن هذه الأعمال لم تكن مصنفة تحت بند أدب المغامرات، ولهذا فإن الجديد هو فقط تصنيف هذا النوع من الأدب، لكن الفصل بين أدب الشباب وبين أدب المغامرة صعب بالفعل.

استحضار الهوية

أهم ضروريات التراجم

يذخر أدب الفتيان في المجتمعات العربية بالعديد من المترجمات التي تقوم بنقل القصص وترجمتها ترجمة حرفية من مختلف اللغات العالمية إلى اللغة العربية. وفي أثناء الترجمة تنتقل القصة لتعرض على الفتى العربي بكل ما فيها من أفكار وعادات ومعتقدات وأفعال. لذا فمن المهم أن يحرص أدباء وكتاب أدب الطفل ومترجموه على ترسيخ مفردات الهوية العربية المقروءة في النص، والمرئية في الصور المصاحبة للنص، عند اختيار نص ما للترجمة إلى العربية. ولا بد من التمحيص وإعادة النظر واستبعاد ما يخالف مبادئنا.

شارل بيرو

فلسفة كتابة الأساطير

استطاع الكاتب الفرنسي شارل بيرو (المولود في عام 1628) أن يصل إلى قلوب بلايين من البشر منذ نحو أربعمائة سنة، إثر وضعه لمجموعة حكائية كتبها من أجل المساعدة في تربية الأبناء لكي تخدم أهدافًا سامية كان يرى من الضرورة طرحها لأطفال المجتمع الفرنسي.

كان أديباً براقاً يهوى الكتابة، كما أنه كان ميالًا للفلسفة وكتابة الأساطير، فكتب «ذات القبعة الحمراء» وهي نفسها القصة التي يدعوها العرب «ليلى والذئب»، ومن في أوروبا لا يعرف «اللحية الزرقاء»، وتطل علينا من نافذة خيال الكاتب أيضا قصة (الجمال النائم، عقلة الإصبع، وسندريلا أو حذاء سندريلا، والماس والضفادع، وبود المضحك، وجلد الحمار أو الأميرة الهاربة، وريكي الخصلة). وفي مخزون الكاتب العديد من القصص الخرافية التي أصبحت بالنسبة إلى كثيرين تراثًا شعبيًا. وقد جمع «بيرو» هذه القصص في كتابه الشهير «حكايات أمي الإوزة».

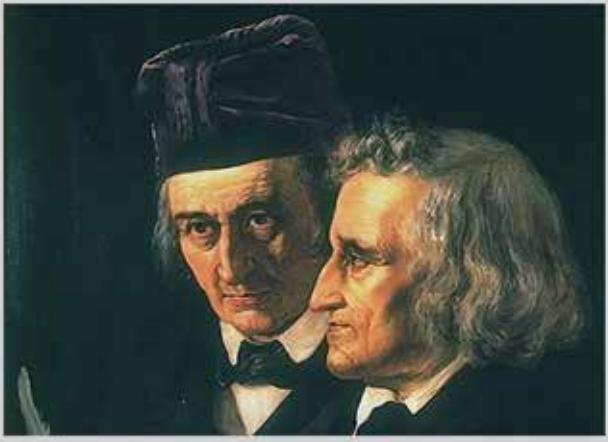

الأخوان جريم

الاستفادة من القصص الشعبية

الأخوان جريم هُما أخوان ألمانيان أحدهما يُدعى جايكوب والآخر فيلهلم. كانا أكادِميّين ألمانيّين ولُغويّين وباحِثين ثقافيّين وكاتِبَين، قاما معًا بجمع القصص الشعبية الألمانية وتخريجها في كتاب واحد خلال القرن التاسع عشر. ويُعدَّان من أكثر الروائيين شهرة، وشاعت قصصهم بين الناس بكثرة مثل قصص: سندريلا، والأمير الضفدع، وهانسل وجريتل، ورامبيل ستيلتسكين، وبياض الثلج، والأقزام السبعة، وذات الرداء الأحمر، ورابونزل.

انتشرت مجموعة القصص الشعبية انتشارًا واسعًا، وتُرجِمت لأكثر من 100 لغة حول العالم ومعروفة باسم قصص الأخوان جريم؛ كما اقتُبِست في كثيرٍ من الأعمال السينمائية، ولعل أهم مَن اقتبس مِنها هو والت ديزني الذي أنتج أحد أكثر الأعمال شهرةً كـ: سندريلا، وبياض الثلج، والأقزام السبعة.

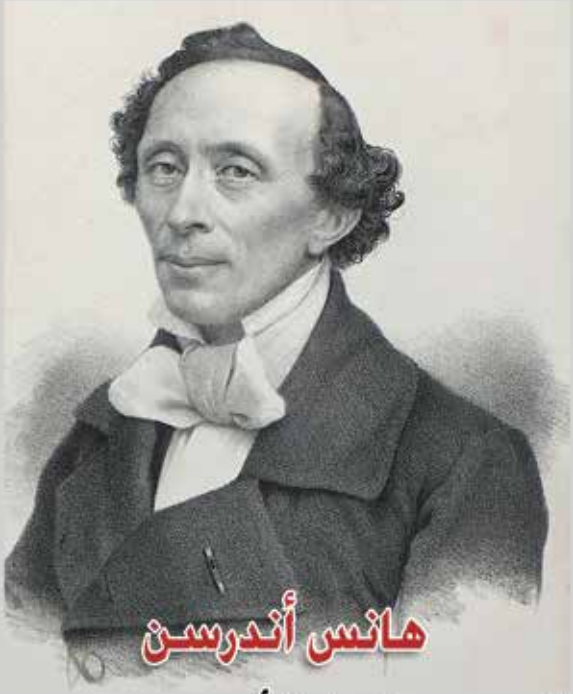

قصصه الخرافية أسعدت الملايين

الشاعر والكاتب هانس كريستيان أندرسن، يُعد واحدًا من الكتاب البارزين في مجال كتابة الحكاية الخرافية، كما يُعد شاعر الدنمارك الوطني، ورغم كونه كتب في مختلف حقول الأدب كالرواية والنص المسرحي والشعر، غير أن موهبته تجلت، أكثر ما تجلت، في مجال الحكايات الخرافية التي برع في كتابتها ليحتل مكانة بارزة في هذا المجال على مستوى العالم، فحكاياته تأخذ من ناحية الشكل قالب الحكاية الشعبية، وبعضها ينطلق من القصص الخرافية التي سمعها عندما كان صغيرًا، كما أن حكاياته، رغم بساطتها، تحمل مستويات عدة في بنائها.

ويُروى أنه أسعد الكثير من الأطفال في حياته في كل أرجاء المعمورة، وقد وجد الحفاوة والتقدير من الأسرة الملكية في الدنمارك.

نُقلت أشعاره وحكاياته إلى أكثر من 150 لغة، كما استوحيت من حكاياته أفلام ومسرحيات، وعروض باليه، ورسوم متحركة. ومن أشهر قصصه: بائعة الكبريت، وجندي الصفيح، وملكة الثلج، والحورية الصغيرة، وفرخ البط القبيح.

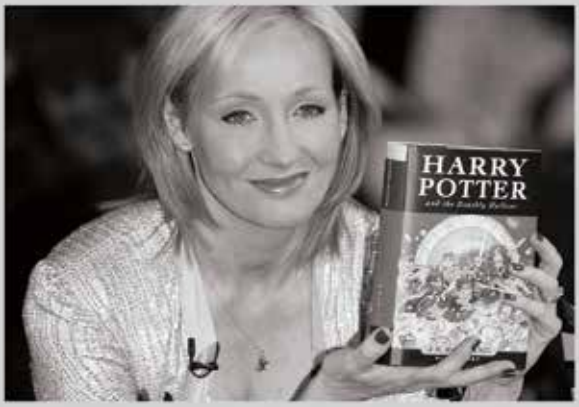

ج.ك. رولـــنج
كاتبة بدرجة مليارديرة

رغم غموض الاسم الذي وقعت به على أعمالها، مكتفية بالأحرف الأولى فقط، إلا أن ج.ك. رولنج، التي اضطرتها ظروف تعنت دور النشر إلى التوقيع بهذه الطريقة، تمكنت بعد ذلك أن تكون الأعلى في الحصول على أموال مقابل الكتابة.

تحولت جوان كاثلين رولنج من مُعلمة بائسة، ثم عاطلة تعيش على نفقة الدولة، إلى أول مليارديرة في العالم تحصل على ثروتها من الكتابة.

اشتهرت رولنج بسلسلة هاري بوتر التي عرفها الناس للمرة الأولى في السادس والعشرين من يونيو عام 1997، لتكون السلسلة الأكثر إبهارا، سواء على المستوى الأدبي أو المستوى الفني عندما تحولت إلى أفلام فيما بعد.

محمد السعيد العريان

نموذج فريد في الكتابة للصغار

يعد محمد سعيد العريان أحد كبار كتاب مصر الذين كان لهم السبق في التبكير بالكتابة للفتيان؛ إذ نال شهرة واسعة اعتمدت على قيامه بإصدار روايات تاريخية، كما يعد أضخم جهد قام به في مجال الطفل بإصداره مجلة «سندباد» أوائل سنة 1952.

كان دوره بارزًا ورائدًا في مجالات شتى، سواء في ميدان الأدب والتأليف والمحاضرة والقصة والرواية والمقال وفي تحقيق التراث والتعريف بالكتب وفي السيرة والتربية والتعليم والعمل الوطني والقومي والعربي.

والبيئة في قصصه التاريخية مستمدة من أمهات الكتب العربية التي تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية للعصور التي ألفت عنها، كما كان يؤمن بأهمية القصة في التأثير على المجتمع.

قدم العريان نماذج من أدب الصغار تمثل الآراء التربوية التي كان يدعو إليها، سواء ما يتعلق منها بالكتب أم بطرق تدريسها، وقد هدف من ورائها إلى غاية علمية ودينية وخلقية وسياسية.

كامل كيلاني

رائد أدب الطفل

استحق كامل كيلاني لقب «رائد أدب الطفل» الذي أطلقه عليه النقاد، فقد اشتهر بأعماله الموجهة إلى الصغار؛ إذ ترجمت قصصه إلى العديد من اللغات، فلا يمكن أن تمر طفولتك دون الذهاب إليه والتعرف عليه، مؤلفاته حتمًا ستجدها في مكتبتك الخاصة، فهل تنسى ذكريات الطفولة مع: نوادر جحا، ومغامرات السندباد البحري، والملك العجيب، وشهرزاد وشهريار، وغيرها من الأعمال التي منحت طفولتنا بهجةً وسعادةً غامرةً.

اعتمد كيلاني منهجًا متميزًا وأسلوبًا عبقريًّا في كتابته لأدب الصغار؛ إذ كان يصر بضرورة التركيز على الفصحى لعدم إحداث قطيعة ثقافية مع الذات التاريخية، كما كان يمزج بين المنهج التربوي والتعليمي، فكان حريصًا على إبراز الجانب الأخلاقي والمعياري في أعماله القصصية، بالإضافة إلى أن أساس المعرفة عنده هو المعرفة المقارنة.

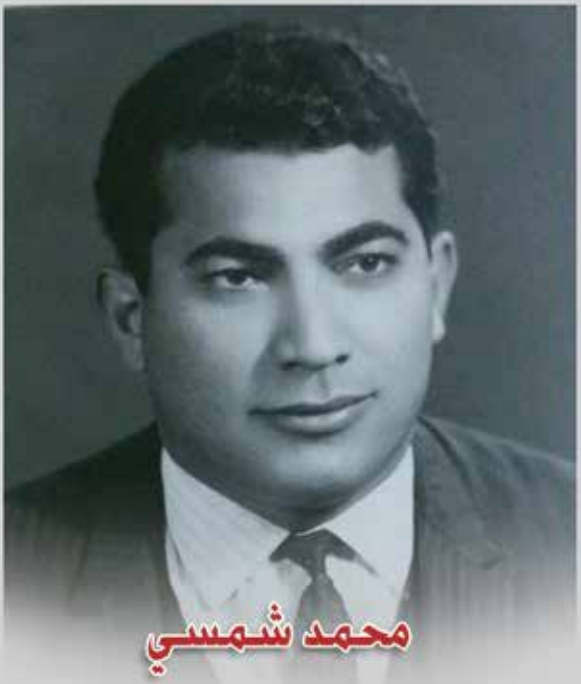

محمد شمسي

الرسو على شاطئ رواية الفتيان

يعد الكاتب محمد شمسي أحد أعلام رواية الفتيان في العراق والعالم العربي، واسمه الحقيقي، محمد حسين المطلبي، لكنه اختار لنفسه اسم محمد شمسي ليشتهر بهذا الاسم لدرجة يكاد يختفي معها اسمه الحقيقي.

ولد شمسي في مدينة العمارة جنوب العراق عام 1943، وعمل في الصحافة كاتباً وصحفياً ومحرراً، وفي إدارة بعض الدوريات والصفحات الثقافية والمؤسسات الإعلامية، ومارس الكتابة الصحفية والنقدية والقصصية والروائية وأدب الرحلات، ونظم الشعر، وكتب في ثقافة الأطفال وأدبهم.

كتب شمسي في عدد من المجالات، منها الشعر والقصة والرواية، كما كتب في أدب الرحلات، وله باع طويلة في أدب الأطفال، كما يعد شمسي أحد رواد رواية الفتيان في الوطن العربي.

أحمد خالد توفيق

عرَّاب الفانتازيا والخيال العلمي

انطلق أحمد خالد توفيق في مجال الكتابة للفتيان إلى مراحل ربما لم يسبقه إليها أحد، فعلى الرغم من أنه في الأساس طبيب، فإنه يعد من أبرز الأدباء الذين وجهوا كتاباتهم إلى تلك المرحلة العمرية الهامة، فهو أول كاتب عربي في مجال أدب الرعب و الأشهر في مجال أدب الشباب والفانتازيا والخيال العلمي، حيث يلقب بـ»العراب».

له العديد من الإسهامات في هذا المجال، مثل ما وراء الطبيعة وسلسلة فانتازيا وسلسلة سافاري وسلسلة روايات عالمية للجيب، هذا بالإضافة إلى رجفة الرعب وغيرها من السلاسل التي لاقت رواجًا واسعًا فور صدورها.

كما صدرت لتوفيق عدد من المجموعات القصصية، وعدد من الروايات التي حظيت بانتشار واسع عربيًّا وعالميًّا.